معاني القرآن

تأليف

أبي زكريّا يحيى بن زياد الفرّاء

المتوفى سنة ٢٠٧ هـ

الجزء الأوّل

عالم الكتب

معاني القرآن

تأليف

أبي زكريّا يحيى بن زياد الفرّاء

المتوفى سنة ٢٠٧ هـ

الجزء الأوّل

عالم الكتب

معاني القرآن

بيروت - المزرعة - بناية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠

الطبعة الثالثة
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

المقدّمة

الفـــرّاء

هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمىّ . وهـذه النسبة إلى الدَّيْلم، وهو إقليم فى البـلاد الفارسية، ويقال للجيل الذى يسكن هـذا الإقليم أيضا ؛ ويُذكر أن زيادا أباه حضَر الحرب مع الحسين بن علىّ رضى الله عنهما ، وقُطعتْ يدُه فى هذه الحرب . ومن ثَمَّ لُقّب « الأقطع » . ويقول ابن خلّكان : « وهذا فيه عندى نظر ، لأن الفرّاء عاش ثلاثا وستين سنة ، فتكون ولادته سنة أربع وأربعين ومائة ، وحرب الحسين كانت سـنة إحدى وستين للهجرة ، فبين حرب الحسين وولادة الفرّاء أربع وثمانون سـنة ، فكم قد عاش أبوه ؟ فإن كان الأقطع جدّه فيمكن . والله أعلم » .

ويظهر أن أسرته دخلت فى الإسلام لأوّل دخول الديلم والفُرس فى الإسلام، كما يدل عليه أسمـاء آبائه العربية . وهم مَوَالٍ لِمنقر من تميم، أولأسلم من أَسَـد، على خلاف فى ذلك. ومما يذكر أنه ابن خالة محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة .

تلقيبه الفرّاء :

والفرّاء قد علمت أنه لقبه لا اسمـه . والمعروف فى الفـرّاء من يخيط الفِراء أو يبيعها؛ كما يتبادر من صيغة النسب؛ كبزّاز وعطّار، ولم يكن صاحبنا ولا أحد آبائه فى شىء من هذا . فقيل : إنه أطلِق عليه لأنه كان يَفْرِى الكلام، أى يحسن

تقطيعَه وتفصيلَه ؛ فهو فَعّال من الفَرْى صيغة مبالغة، وهمزته بدل من الياء لا من الواو؛ كما هو فى مذهبه الأوّل .

وفى أنساب السمعانى : « قال أبو الفضل الفلكىّ : لقّب بالفرّاء لأنه كان يَفرِى الكلام . هكذا قال فى كتاب الألقاب » .

ويقول ابن الأنبارى فى الأضداد ١٣ : « وبعض أصحابنا يقول : إنما سمى الفرّاء فرّاء لأنه كان يُحسِن نظم المسائل، فشبّه بالخارز الذى يخرز الأديم، وماعرف ببيع الفراء ولا شرائها قطُّ . وقال بعضهم : سمى فرّاء لقطعه الخصوم بالمسائل التى يُعْنَت بها، من قولهم : قد فَرَى إذا قطع ؛ قال زهير :

ولأنتَ تَفرِى ما خَلَقْتَ وبعـ ـضُ القوم يَخلُق ثم لا يَفرِى

معناه : تخرز ما قدّرت . والخلق : التقـدير » .

ولا يُعرَف متى أطلق عليه هذا اللقب ، ولا بدّ أنه حين اكتمل وبدا نُضْجه وغلبته للخصوم .

مولده ونشأته :

وكانت ولادة الفرّاء بالكوفة سنة ١٤٤ هـ فى عهد أبى جعفر المنصور . ونشأ بها وتربّى على شيوخها . وكانت الكوفة أحد المصرين اللذَيْن كانا مقرّ العلم ومَرْبَى العلماء، والمصر الآخر البصرة . وكانت الكوفة حافلةً بالشيوخ فى فروع العلم المعروفة فى ذلك العصر . ومن شيوخه فيها قيس بن الربيع، ومَنْدَل بن علىّ، وأبو بكر بن عَيّاش والكسائىّ، وسفيان بن عيينة . ويقال إنه أخذ عن يونس بن حَبيب البصرىّ، وإنه كان يلازم كتاب سيبويه .

وكان الفرّاء قوىّ الحفظ ، لا يكتب ما يتلقاه عن الشيوخ استغناء بحفظه . ويقول هنّاد بن السرىّ[1] : « كان الفرّاء يطوّف معنا على الشيوخ، فما رأيناه أثبت سوداء فى بيضاء قط ،لكنه إذا مرّ له حديث فيه شىء من التفسير أو متعلّق بشىء من اللغة قال للشيخ : أعِده علىّ . وظننّا أنه كان يحفظ مايحتاج إليه » .

وبقيت له قوّة الحفظ طوال حياته، وكان يملى كتبَه من غير نسخة، ولم يقتن كتبا كثيرة . ويقول ثعلب : « لما مات الفرّاء لم يوجد له إلا رءوس أسفاط فيها مسائل تذكرة وأبيات شعر » . والأسفاط جمع السَّفَط وهو ما يوضع فيه الطِّيب وغيرُه، وهو المعروف بالسِّبْت .

وقد بلغ الفرّاء فى العلم المكانةَ السامية والغاية التى لا بعدها ، وكان زعيم الكوفيين بعد الكسائى . ويقول ثعلب : « لولا الفرّاء لما كانت عربيّة؛ لأنه خلّصها وضبطها . ولولا الفرّاء لسقطت العربيّة ؛ لأنها كانت تُتنازع ويدّعيها كلُّ من أراد، ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب » .

وفى تاريخ بغداد : «وكان يقال : النحو الفرّاء، والفرّاء أمير المؤمنين فى النحو» .

ويبين عن مبلغه فى العلم قصة ثُمامة بن الأشرس المعتزلى ، فقد كان الفرّاء[2] يتردّد على باب المأمون حتى لقيه ثُمامة، وهنا يقول هذا الرجل عن الفرّاء : « فرأيت أُبَّهَ أديب ، فجلست إليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحرا، وفاتشته عن النحو فشاهدته نسيجَ وحدِه ، وعن الفقه فوجدته رجلا فقيها عارفا باختلاف القوم، وبالنحو ماهرا، وبالطب خبيرا، وبأيام العرب وأشعارها حاذقا. فقلت :

(١) تاريخ بغداد ١٤/١٥٢

(٢) ابن خلكان ٥ : ٢٢٥ (طبعة مكتبة النهضة ١٩٤٩) .

من تكون ؟ وما أظنك إلا الفزاء، فقال : أنا هو . فدخلت فأعلمت أمير المؤمنين المأمون، فأمر بإحضاره، وكان سبب اتصاله به » .

وقد استقرّ به المُقام فى بغداد، ونرى له مع الرشيد قصّةً إذ لحن أمامه ، واعتذر بأنه يجرى على أساليب العامة ولهجة الحديث ، ولا يتكلف الإعراب . ولا نرى له ذكرا فى أيام الأمين . حتى إذا جاء المأمون كان اتصاله به — على ماسبق فى قصّة ثمامة — وقد وكل إليه المأمون تعليم ابنيه ، وكلّفه تأليف الحدود فى العربية، وأفرد له بيتا فى القصر، وكفاه كلّ مؤنة فيه .

وفى ابن النديم[1] «كان أكثر مقامه ببغداد . كان يجمع طَوال دهره، فإذا كان آخر السنة خرج إلى الكوفة وأقام بها أربعين يوما فى أهله يفرق فيهم ما جمَعه ويبرّهم » .

وفاتـــه :

وكانت وفاة الفزاء فى طريقه فى عودته من مكّة سنة ٢٠٧ هـ ، وفى أنساب السمعانى سنة ٢٠٩ هـ .

تآليفـــه :

أورد له ابن النديم :

(١) آلة الكتّاب .

(٢) الأيام والليالى . ومنه نسخة فى دار الكتب فى المجموعة رقم ١٣ أدب ش . وأخرى فى مكتبة لاله لى برقم ١٩٠٣ وثالثة فى مكتبة سليم أغا باستانبول . برقم ٨٩٤

(١) الفهرست ٦٦ — ٧٧ (طبع أوربا) .

(٣) البهاء ، أو البهى . (ويذكر ابن خلكان أنه أصل الفصيح لثعلب) .

(٤) الجمع والتثنية فى القرآن .

(٥) الحدود ، وهو فى قواعد العربية، فيذكر حدّ التثنية وطريقة العرب فيها، والإعراب، وهكذا، ويذكر أنها ستون حدّا .

(٦) حروف المعجم، نقل عنه ابن رشيق فى العمدة ١ / ١٠٠ فى مبحث القافية .

(٧) الفاخر فى الأمثال . من نسخة فى مكتبة الفاتح باستانبول رقم ٤٠٠٩

(٨) فعل وأفعل .

(٩) اللغات .

(١٠) المذكر والمؤنث . من نسخة ضمن مجموعة لغوية فى مكتبة مصطفى الزرعى فى بيروت وأخرى فى مكتبة حلب برقم ١٣٤٥

(١١) المشكل الصغير .

(١٢) المشكل الكبير . ويبدو أنه فى مشكل القرآن كمشكل ابن قتيبة .

(١٣) المصادر فى القرآن .

(١٤) معانى القرآن (وهو هذا الكتاب) .

(١٥) المقصور والممدود . منه نسخة فى مكتبة بروسّه بتركيا .

(١٦) النوادر .

(١٧) الوقف والابتداء .

معانى القرآن

كان هذا التركيب يُعنى به ما يشكل فى القرآن ويحتاج إلى بعض العناء فى فهمه . وكان هذا بإزاء معانى الآثار، ومعانى الشعر، أو أبيات المعانى . ويقول

الطحاوىّ فى مقدمة كتاب "معانى الآثار" — على ما فى كشف الظنون — : «إنه سأله بعض أصحابه تأليفا فى الآثار المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأحكام التى يتوهّم فيها أهل الإلحاد والزّندقة أن بعضَها يَنقُض بعضا لقلّة علمهم بناسخها ومنسوخها» .

وقد كتب فى معانى الشعر ثعلب، وأبو الحسن الأخفش سعيد بن مسعدة ، والأشناندانى ، وكذا ابن قتيبة فى كتاب المعانى الكبير . وكتب فيها أيضا أبو عُبَيد القاسم بن سلّام . ومن قبيل معانى القرآن مجاز القرآن لأبى عبيدة .

وقد كتب فى معانى القرآن كثير من الفحول . يقول الخطيب فى تاريخ بغداد فى صدد الحديث عن معانى القرآن لأبى عبيد، وأنه احتَذَى فيه مَن سَبقه : «وكذلك كتابه فى معانى القرآن . وذلك أن أوّل من صنّف فى ذلك — أى فى معانى القرآن — من أهل اللغة أبو عُبَيدة مَعْمر بن المثنّى ، ثم قُطْرُب بن المستنير ، ثم الأخفش . وصنف من الكوفيين الكسائىّ ، ثم الفرّاء . فجمع أبو عبيد من كتبهم، وجاء فيه بالآثار وأسانيدها ، وتفاسير الصحابة والتابعين والفقهاء» .

سبب تأليفه :

ومعانى القرآن للفرّاء له قصة . ففى فهرست ابن النديم : «قال أبو العباس ثعلب : كان السبب فى إملاء كتاب الفرّاء فى المعانى أن عُمَر بن بُكَير كان من أصحابه ، وكان منقطعا إلى الحسن بن سهل ، فكتب إلى الفرّاء : إن الأمير الحسن بن سهل ربما سألنى عن الشىء بعد الشىء من القرآن ، فلا يحضرنى فيه جواب ، فإن رأيت أن تجمع لى أصولا أو تجعل فى ذلك كتابا أرجع إليه فعلتَ .

فقال الفرّاء لأصحابه : اجتمعوا حتى أملّ عليكم كتابا فى القرآن . وجعل لهم يوما . فلما حضروا خرج إليهم ، وكان فى المسجد رجل يؤذّن و يقرأ بالناس فى الصلاة ، فالتفت إليه الفرّاء فقال له : اقرأ بفاتحة الكتاب ، ففسّرها ، ثم توفّى[1] الكتاب كلّه : يقرأ الرجل و يفسّر الفرّاء . فقال أبو العباس : لم يعمل أحد قبله ، ولا أحسب أن أحدا يزيد عليه » .

وفى تاريخ بغداد عن أبى بديل الوضّاحى : «فأردنا أن نعدّ الناس الذين اجتمعوا لإملاء كتاب المعانى فلم يُضبط . قال : فعددنا القضاةَ فكانوا ثمانين قاضيا » .

ولم نقف على أمر عمر بن بكير الذى صنع الكتاب لأجله .

روايتـــه :

اتفق الكتّاب على أن راويَ الكتاب محمد بن الجهم السِّمّرى . وكان الفرّاء يملى فى المجلس و يكتب الحاضرون ، ويبدو أن السمّرىّ كان له مزيد عناية بالكتابة ، وكان ملازما للمجلس ، فكان يدوّن ، ونسبت رواية الكتاب لذلك إليه ، وعسى أن يكون الفرّاء يطلع على ما يدوّن ويقرّه . وكان الكتاب ينسخ فى حياة الفرّاء ، فهى نسخة السمرى فيما يظهر . على أن هناك نسخة أخرى لم تشتهر . ففى تاريخ بغداد عن محمد بن الجهم : « كان الفرّاء يخرج إلينا وقد لبس ثيابه فى المسجد الذى فى خندق عبويه ، وعلى رأسه قلنسُوة كبيرة . فيجلس فيقرأ أبو طلحة الناقط عَشْرا من القرآن ، ثم يقول له : أمسك . فيملى من حفظه المجلس ، ثم يجىء سَلَمة — يريد سَلَمة بن عاصم من جِلّة تلامذة الفرّاء — بعد

(١) أى استوفاه . وفى ابن خلكان : « مرّ فى » .

أن ننصرف نحن ، فيأخذ كتاب بعضنا فيقرأ عليه ، ويغير ويزيد وينقص . فمن هنا وقع الاختلاف بين النسختين » .

يقول السمّرىّ فى صدر الكتاب : « هذا كتاب فيه معانى القرآن ، أملاه علينا أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء — يرحمه الله — عن حفظه من غير نسخة، فى مجالسه أوّل النهار من أيام الثلاثاوات والجُمَع فى شهر رمضان وما بعده من سنة اثنتين ، وفى شهور سنة ثلاث وشهور من سنة أربع ومائتين » . فقد أملاه إذَنْ قبل أن يرد المأمون بغداد من خراسان، إذ كان دخوله بغداد سنة ٢٠٤ . وإذا كان الفرّاء ألّف (الحدود) والمأمون فى بغداد فإن (المعانى) يكون تأليفه قبل تأليف (الحدود) . وفى تاريخ بغداد ما يقضى بخلاف هذا؛ ففيه فى الكلام على الحدود : « فبعد أن فرغ من ذلك — أى الحدود — خرج إلى الناس وابتدأ يملى كتاب المعانى » . ويبدو أن هذا كلام غير دقيق .

السمّرىّ راوية الكتاب

وهنا يحسن أن نَعرِض لحياة السمّرى . فهو أبو عبد الله محمد بن الجهم ابن هارون الكاتب . والسمرى نسبة إلى سمّر : بلد بين البصرة وواسط . وقد ولد السمّرىّ فى حدود سنة ١٨٨ ، فقد كانت وفاته سنة ٢٧٧ وله تسع وثمانون سنة .

وفى غاية النهاية فى طبقات القرّاء لابن الجزرىّ أن وفاته كانت سنة ثمان ومائتين . ويبدو أن هذا سهو من الكاتب، أو أن فى الكلام سقطا ؛ والأصل : سنة ثمان وسبعين ومائتين .

وقد أخذ السمّرى عن الفرّاء وهو لا يزال حَدَثا ، فقد مات الفرّاء وله تسع عشرة سنة ، إذ كانت وفاة الفرّاء سنة ٢٠٧ هـ .

ونرى فى صدر الكتاب السند الآتى : « حدّثنا أبو منصور نصر مولى أحمد ابن رُسْتَه ، قال : حدّثنا أبو الفضل يعقوب بن يوسف بن معقل النيسابورى سنة إحدى وسبعين ومائتين ، قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن الجهم السمّرى سنة ثمان وستين ومائتين » .

ولا يعرف راوى هذا الإسناد القائل : حدّثنا ، وهو من تلاميذ أبى منصور . فأما أبو منصور فلم نقف له على ترجمة ، وفى (تاج العروس) تحدّث عن مولاه فقال : « أبو حامد أحمد بن محمد بن رسته الصوفى الأصبهانى ، يعرف بالحمال . روى عنه أبو بكر بن مردويه » . وأبو الفضل يعقوب بن يوسف بن معقل ذكره الخطيب فى تاريخ بغداد ٢٨٦/١٤ وقال فيه : « ورد بغداد ، وحدّث بها عن إسحاق بن راهويه » .

محمد على النجّار أحمد يوسف نجاتى